

أدب الأطفال أهميته ودوره في تلبية الحاجات النفسية لدى الطفل

أ. كعب حاتم

الملخص :

إذا ما أرادت الشعوب والأمة أن تحقق أهدافها وآمالها بأن نمضي قدما في ميادين التطور والازدهار فلزاما عليها أن تستثمر في مجال التنشئة الاجتماعية . لتكون حقيقة بالوصول إلى هذه الأهداف والآمال ومن المعلوم أن أدب الأطفال يقف على رأس وسائل هذه التنشئة المنشودة .

انطلاقا من هذه القناعة جاء هذا المقال لتبيان الدور الايجابي الذي يؤديه أدب الأطفال في التنشئة الاجتماعية.

Conclusion:

If nations and people wanted to achieve their own objectives and desire to continue in path of development and prosperity, they must care about the socio-educational scope ; in order to realize these objectives and hopes.

It is well known that literature of children is the most important device of target education ,according to this idea , the written article comes to show the positive role played by literature of children in the social education .

ظلّ الأدب لقرون طويلة يغازل عقول الناس وقلوبهم، يدغدغ الأحاسيس والمشاعر، وينمي العقول والمدارك، ولازال-كذلك- يجسد تجاربهم الخاصة، ويعرّز انتماءاتهم المختلفة، كلّ حسب ميوله وأهوائه؛ لهذا كان لكلّ إنسان قصّة وحكاية مع تجربة أدبية معيّنة.

إذا كان هذا حال الأدب مع الكبار، فحاله مع الصغار كذلك أو تزيد؛ فالطفل محتاج إليه حاجته للماء والغذاء، ولأمّه وأبيه، وإلى المنزل الذي يأويه؛ فالأدب يأخذ بيد الطفل فيمثله ويؤنسه ويدخل السرور على قلبه، كما يعمل على إشباع حاجة الفضول عنده التي تصل في هذه المرحلة العمرية منتهاها، فالفضول وحبّ التطلع غريزة ظاهرة عند الطفل أكثر من غيره « منذ أن يدرك الطفل العالم من حوله تنشأ لديه حاجة هامّة من حاجاته العقلية إلى الاستطلاع، إنّه يحبّ أن يتعرّف على أشياء كثيرة تحيط به، يؤثر فيها أحيانا وتؤثر فيه أخرى»(1).

وبالرغم من أنّ الاهتمام بأدب الأطفال ودراسته ثنّب له حديثا، إلّا أنّنا نلاحظ تسارعا وتهاوتا كبيرين حول دراسته، وتبيان أهميته في أقطار العالم كافّة مع زيادة واضحة

عند الأمم المتحضرة السبّاقة في هذا المجال، كلّ ذلك لما وجدوه في هذا الأدب من نعم جمّة وآلاء عظيمة تعمل على تنمية شخصية الطفل وصقل موهبته، ومن أعظم الفوائد وأجلّها ما ذكره وحدّد كنهه الدارس أحمد نجيب عند حديثه عن دور أدب الأطفال في تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي لدى الطفل، وهذه الفوائد التي عدّها الدارس هي(2)؛

- 1- يمكن لأدب الأطفال أن يدعم -بقوّة- التربية الروحية الصحية للأطفال، والتي تدعم -بدورها- بناء شخصية الفرد السويّ.
 - 2- يمكن لأدب الأطفال أن يعدّ الأطفال للحياة في عالم الغد.
 - 3- يقوم بدور هام في إثراء لغّة الأطفال.
 - 4- تقوّن القصص والمسرحيات والأغاني والأناشيد من ألوان الإنتاج الأدبي، بدعم القيم والصفات اللازمة لعملية التفكير الابتكاري والإبداعيّ.
 - 5- يقدّم أدب الأطفال قصص العلماء والمخترعين وأهل الإبداع ليأخذ الأطفال من حياتهم، وسيرهم وتصرفاتهم نماذج وأمثلة تحتذى.
 - 6- يقدّم أدب الأطفال أنماطاً للتفكير المستهدف، ونماذج للتصرف السليم في مختلف المواقف.
 - 7- تقوم كتب الأطفال بدور هام في عمليات التصنيف واكتشاف المختلف والمتشابه، والتدرّب على دقّة الملاحظة وابتكار الحلول.
 - 8- وأدب الأطفال يتيح مواقف تستدعي من الأطفال: دقّة الملاحظة والتأمل، الربط والتحليل والاستنتاج، حسن إدراك الأمور.
 - 9- تستطيع الكتب المدرسية أن تنمي قدرة الأطفال على الإبداع.
 - 10- أدب الأطفال الناجح يحبّب الأطفال في الكتب والقراءة وكلّ أوعية العلم والمعرفة.
- على أن هناك فوائد أخرى ذكرها غيره من الدارسين تجاوزها هو لعظم فائدة هذا اللون من الأدب الذي لا تكاد تحصى آلاؤه ونعمه على تنمية شخصية الطفل وتكوينه النفسي والفكري، فهذه الدارسة حنان عبد الحميد العناني ترى أنّ أدب الأطفال على جانب كبير من الأهمية لتحقيقه مجموعة من الأهداف، تذكر منها مايلي(3)؛
- 1- يسلي الطفل ويشعره بالمتعة ويشغل فراغه وينمي هواياته.
 - 2- يعرفه على البيئة التي يعيش فيها من جميع جوانبها.
 - 3- يسهم في اطلاعه على أفكار وآراء الكبار.
 - 4- ينمي القدرات اللغوية عنده وذلك بزيادة المفردات اللغوية لديه وتنمية قدرته على القراءة والاستيعاب.
 - 5- يكون ثقافة عامّة لديه.

- 7- يتعلم عن طريقه التركيز والانتباه والملاحظة الدقيقة.
- 8- يسهم في تنمية الذوق الفني لديه من خلال الموسيقى والألوان الجميل
- 9- يساعده في التعرف على الشخصيات الأدبية والتاريخية والعلمية والدينية والسياسية من خلال قصص البطولات والمشاهير.
- 10- يجعله إنسانا متميزا لمطالعة أشياء كثيرة.
- 11- يعمل على زرع الاتجاهات الاجتماعية السليمة لديه، ويعرفه بالعادات والتقاليد الواجب اتباعها في مختلف الظروف.

وليس بعيدا عن مثل هذا نجد الدارس أحمد طعيمة يخوض طويلا في إبراز أهمية أدب الأطفال وتعداد فوائده فيسترسل أيما استرسال ويطيل أيما إطالة إلى أن يصل لقوله: «وبإيجاز، فإن أدب الأطفال يمكن أن يزودهم بفهم لأسباب السلوك الإنساني.. أن لكل سلوك دوافع، ظاهرة كانت أم خفية، ومن الممكن عن طريق الكتب أن يتعرف الطفل على ما يكمن وراء أشكال السلوك المختلفة من أسباب وما يحركها من دوافع... إن من الممكن للطفل عن طريق الأدب الذي يكتب له، أن يفهم الحاجات الأساسية التي يشترك فيها الجنس البشري في مختلف الأعمار والشعوب» (4)

ونستطيع القول: إنه ليس هناك كتاب ألف في أدب الأطفال إلا وقد أخذ صاحبه يعدد الفوائد الكثيرة التي يمنحها هذا الأدب مما يجعل النماذج في هذا المجال كثيرة لا يتسع المقام لعرضها، ولربما تكون بحثا مستقلا همّه تبيان فائدة هذا النوع من الأدب، ولعله -بعد ذلك- لا يقتل القضية بحثا ولا يفيها حقها. وبالإضافة لكل ما سبق فإن لأدب الأطفال دورا هاما ورئيسا لإشباع الحاجات النفسية لدى الطفل، ونقصد بالحاجة النفسية: «حالة من التوتر الذي يشعر به الفرد ويسعى إلى التخفيف منه وإزالته» (5).

إذن فالحاجة النفسية هي توتر نفسي طارئ على الفرد ويمكن أن يتعرض هذا الأخير إلى مشاكل عديدة في حالة استمرار التوتر النفسي لديه «ويتربث على عدم التخفيف من حدة التوتر حالة من الضيق تتفاوت درجتها ونوعها بتفاوت الحاجات النفسية التي عجز الفرد عن إشباعها» (6).

تتعدد هذه الحاجات النفسية وتتنوع تنوع الميولات والخلجات النفسية واختلافها عند البشر، من أجل ذلك نجد علماء علم النفس النمو (7)، قدموا العديد من قوائم الحاجات النفسية، ولعل أبرزها وأكثرها شهرة ورواجا قائمة "ماسلو" والتي تمثلها على شاكلته بناء هرمي يمكن عرضه على النحو الآتي (8):

الرغبة في المعرفة والفهم

تحقيق الذات

الثقة

والشيء نفسه يمكن قوله مع القصص الدينية التي تعبّر عن وجود الله سبحانه وتعالى القائم على حماية خلقه وحفظهم، يقول عز وجل: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» (11).

ومعنى هذه الآية الكريمة يسهم بلا ريب في إشباع الحاجة إلى الأمن في نفس الطفل: «إذ إن ذلك يثبت عنده الإحساس بالأمل والثقة بأن من يحميه من مخاوفه ويرد عنه مصادر الخطر، ويدافع عنه إزاء خصومه من كائنات الطبيعة الأخرى» (12).

وكذلك هو الحال مع الحاجة إلى الحب إذ يتم إشباعها عند الطفل من خلال كل ما يقدم له من أشعار وأناشيد وأغاني وقصص، فالعلاقة الحميمة التي تحصل بينه وبين أبطال وشخص هذه الأعمال تجعله يتعاطف معها ويشعر نحوها بالحب.

وخير ما نمثل -في هذا المقام- وصف الشاعر محمد الهراوي لفرحة الأطفال بقدم يوم العيد، وتهليلهم بهذا الضيف المنتظر، الذي ينشر -بقدمه- السعادة والحب بين القلوب، يقول (13):

أقبل العيد فأهلاً بتباشير السعد
قد نعلمنا بسرور ما عليه من مزيد
وحبانا أبوانا بالهدايا والتقود
وخرجنا نتحلى فيه بالثوب الجديد
وتصافحنا بأيدي نا على صدق العهود
ومضينا بالتهاني لقريب وبعيد
فأت يا عيد وأفرح أمّ الثيل السعيد
وامض يا عيد وعد بال يمين في عهد حميد
يا بني الثيل بقيتم للعلا في كل عيد
وليس بعيداً عن هذه الأجواء المليئة حباً وسروراً ينشد المدارس العلم، والشاعر

المتميز أحمد نجيب فيقول (14):

عمر صباحاً يا فراشي قد أتى الصبح الجديد
أشرق الثور فهياً ثوقظ الوادي السعيد
ونغني في صباح باكر، حلو التشيد
يا صباح الخير ذا يوم جديد
يا صباح الثور في الوادي السعيد
يا صباح الفلّ يا صبح الورود
يا سروري يا طيوري بين أزهار ونور

ونخيل باسقاتٍ ومياهٍ في الغدير
وتنفطر الأبيات الخوالي حباً وسعادة وأملًا، تمتاز فيها عذريّة الطبيعة بعواطف
الطفولة وبراءتها.

وغير بعيد عن هذه الأجواء يقول الشاعر -أيضا- (15):

هَيَّا بنا هَيَّا بنا هَيَّا بنا هَيَّا بنا
هَيَّا بنا نسعى هنا بين الزهور النّاديّة
إنّا خرجنا نجتلي حسن الحياة الرّاضيّة
حيث الميآه الجاريّة تحت الغصون العاليّة
والثّور غنّى صامتاً لحن الطّيور الشّاديّة

إنّ كلّ هذا الذّوبان في عالم الطبيعة عن طريق هذه الثّغمة الموسيقية الرّاقصة
كفيل بأن يدخل السرور والفرح -لا محالّة- إلى قلب الطفل؛ ممّا يرسّخ -عنده- حبّ
الحياة والتمسك بالأمل.

وهذا هو شأن أدب الأطفال مع باقي الحاجات النفسيّة الأخرى التي ذكرها ماسلو
وغيره من علماء علم النّفس النّمو، يعمل على إشباعها الواحدة تلو الأخرى، ويّضح-
مما سلف- الدّور الهامّ والخطير الذي يؤديه أدب الأطفال في عمليّة النّمو عند الطّفل
كونه وسيلة علاجية هامة من وسائل العلاج النفسي، فحتى تتمّ عمليّة النّمو على
وجه سليم وجب استغلال طاقات هذه الوسيلة الحيويّة استغلالاً سليماً، من أجل
تحقيق ذلك أخذ الباحثون يهتمّون بالكتابة للأطفال، ويحثّون المبدعين نحوها،
غايتهم -في ذلك- تنشئة اجتماعية سليمة لنبايس المستقبل ورجاء الأمر «ونحن
-إذا ما رمنا أن نحافظ مجتمعنا على تطوّره الدّائم، ويسلم من المذمّات والشّطحات-
فليس إزاءنا إلاّ العناية القصوى بالطفل، وتنشئته تنشئة متماسكة الأجزاء، متينة
الأوصال؛ إذ إنّ الرّعاية عن طريق التثقيف والتأليف من غير إساءة إلى ذوق الطّفل أو
إهانة لشخصيّته يكون لها التأثير الكبير على حياته المستقبلية، ولا سيما إن
عرفنا كيف نقدّم لهذه الوجبة» (16).

من هنا تتبدّى لنا خطورة هذا الأدب وأهميته، ودوره الفعّال في عمليّة التنشئة من
خلال التأثير على الطفل، وتسهيله نحو الأفضل فيتوحّد -بذلك- هدف أدب
الأطفال مع الهدف العام للتربية التي تسعى على إعداد الأشخاص وتحضيرهم لخوض
غمار المستقبل «وغاية التربية ليست تدريب الملكات الذهنيّة على استيعاب مواد
مركزة فحسب بل تنمية شخصيّة الفرد وصقلها، وخلق اتزان عادل بين قواه الجسميّة
والعقلية والنفسية كي يصبح مواطناً بكلّ ما تنطوي عليه هذه الكلمة من
معان» (17).

وفي الأخير يحقّ لنا أن نتساءل: هل أخذ كتابنا كلّ هذه الأمور بعين الاعتبار؟
وهل استحضروا كلّ هذه المعاني وهم يكتبون لمستقبل هذه الأمّة؟

ولعلّ الإجابة تتضح من خلال تسليط الضوء على كتابات هؤلاء، واحتضانها بالدراسة المتخصصة والواعية من أجل توجيهها الوجهة السليمة.

الهوامش :

- (1)- العيد جلولي. النص الأدبي للأطفال في الجزائر (دراسة تاريخية فنية). دار هومة، الجزائر. دط. 2003. ص12. (ينظر: رشدي طعيمة. ص27).
- (2)- ينظر: أحمد نجيب. المرجع السابق. ص295 وما بعدها.
- (3)- ينظر: حنان عبد الحميد العناني. المرجع السابق. ص22.
- (4)- رشدي أحمد طعيمة. المرجع السابق. ص27.
- (5)- المرجع السابق. ص27
- (6)- المرجع نفسه. ص27
- (7)- علم النفس النّمّو هو فرع من فروع علم النفس الحديث.
- (8)- رشدي أحمد طعيمة. المرجع نفسه. ص27.
- (9)- أحمد شوقي. الشوقيات. ج4. ص173.
- (10)- المصدر نفسه. ج4. ص173.
- (11)- سورة البقرة، الآية/255.
- (12)- رشدي أحمد طعيمة. المرجع السابق. ص31.
- (13)- ينظر: محمد الهراوي. سمير الأطفال. نقلا عن: أحمد نجيب. المرجع السابق. ص122.
- (14)- أحمد نجيب. المرجع السابق. ص122-123.
- (15)- ينظر: المرجع نفسه. ص116.
- (16)- محمد مرتاض. المرجع السابق. ص8.
- (17)- عبد العزيز جادو. علم نفس الطفل. المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر. دط. 2001. ص109.